«الوعد الصادق» لشهداء المقاومة؛ من السيد حسن نصر الله إلى يحيى السنوار

الشهيدين «السيد حسن نصرالله» و«يحيى السنوار» سطّرا التاريخ ورسما مساره

ينشر موقع KHAMENEI.IR الإعلامي تقريرًا يسلّط الضوء على أهم المحطات النضالية في مسيرة القائد الشهيد يحيى السنوار، وصولًا إلى الوعد الذي أشار إليه ثم حققه عبر عملية طوفان الأقصى، وختامًا في استشهاده، كما يتطرّق التقرير إلى الوعد الصادق الذي أطلقه الشهيد السيد حسن نصر الله من أجل تحرير جميع الأسرى وحرب ٢٠٠٦ وتحقيق وعده، وكذلك وعده الصادق خلال ٢٠٢٣ و٢٠٢٤ في إسناد المقاومة الفلسطينية في غزة، والذي فدى روحه من أجل تحقيقه.

تحوّل يوم ١٧ أكتوبر/تشرين الأول إلى يوم خالد في تاريخ أكثر من سبعة عقود من نضال الفلسطينيين لتحرير أرضهم من دنس الكيان الصهيوني؛ يومٌ واجه فيه قائدٌ من طراز «رجال الميدان» العدوَّ وجهًا لوجه، ليصبح رمزًا للمناضلين والتوّاقين إلى الحرية والحق. يحيى إبراهيم حسن السنوار؛ الرجل الذي زعم العدو كذبًا أنه مختبئ في الأنفاق، لكنه في نهاية المطاف أثبتَ للعالم أنه في الخطوط الأمامية للمعركة ضد العدو، على بُعد ٦٠٠ متر من مواقع جيش الكيان. ورأى الجميع كيف أنه رغم إصاباته المثخنة، لم يتوانَ عن استخدام أبسط ما لديه، مثل قطعة خشب، في محاربة العدو حتى الرمق الأخير. أبو إبراهيم السنوار، القائد المجاهد، الذي قال عنه قائد الثورة الإسلامية: «كان رمزًا بارزًا للمقاومة والجهاد، وقد صمدَ بعزيمة فولاذيّة في وجه العدوّ المعتدي والظالم، ووجّه له صفعةً بحكمةٍ وشجاعة».

سجّل التاريخ أنّ الرجلَ الذي نظر بعيونٍ مصممة إلى طائرةٍ مسيّرةٍ إسرائيلية، في ١٧ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٤، وصاح «هل من مُبارز؟»، هو نفسه مَن سطّر ملحمة وكابوسًا لا نهاية له في ٧ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣، وهذا أكبر إرث للشهيد السنوار خلال عقودٍ من نضاله من أجل الحرية. لقد وعد الشهيد السنوار قبل ٧ أكتوبر بطوفان، وكان وعده صادقًا، تحققَ أمام أعين العالم.

«آتون بطوفانٍ هادر»؛ هذه العبارة التي تزيّنت بها لافتة حفل إحياء الذكرى الخامسة والثلاثين لتأسيس حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في ١٤ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٢. وقد بدأ الشهيد يحيى السنوار، القائد الراحل للحركة والذي كان المتحدّث الرئيسي في الحفل، كلمته بهذه العبارة: «يا مقدّمة الطوفان الهادر... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، ثم أشار بيده إلى الصورة خلفه، والعبارة المكتوبة عليها.

في ذلك اليوم، لم يتصوّر أحدٌ أن إشارةً صغيرة وعبارةً من بضع كلمات تركّزت على تعبير «الطوفان الهادر» من قِبَل الشهيد السنوار ستكون رمزًا لعمليةٍ أطلقتها «حماس» في صباح ٧ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣ تحت اسم «طوفان الأقصى»، مما أوقَعَ أجهزةَ الأمن والاستخبارات التابعة للكيان الصهيوني وحلفائه في حالة من الذهول.

من أكتوبر ١٩٦٢ إلى أكتوبر ٢٠٢٣

وُلد الشهيد أبو إبراهيم في ٢٩ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٦٢ في مخيم خان يونس للاجئين جنوبي قطاع غزة. حصل يحيى على شهادة البكالوريوس من الجامعة الإسلامية في غزة، وكان من نشطاء مجلس الطلاب في الجامعة. وقد تمّ اعتقاله لأول مرة في عام ١٩٨٢، حين كان في العشرين من عمره، بسبب أنشطته الطلابية المناهضة للصهيونية، ودامت مدة اعتقاله أربعة أشهر. في عام ١٩٨٦، أسس مجموعة لمكافحة التجسس بتوجيهٍ من الشيخ أحمد ياسين، وأصبح أكثر عرضةً للمراقبة من قِبَلِ أجهزة الأمن والاستخبارات الصهيونية. وفي ٢٠ يناير/كانون الثاني ١٩٨٨، اعتُقل للمرة الرابعة، وحُكم عليه بالسجن مدى الحياة أربع مرات (٤٢٦ سنة) بتهمة اختطاف وقتل جنديين إسرائيليين.

تولّى الشهيد السنوار خلال فترة أسره قيادة «الهيئة القيادية العليا للأسرى» التابعة لـ «حماس»، وقاد نضال الأسرى الفلسطينيين ضد الصهاينة من خلال إضرابات عن الطعام في سنوات ١٩٩٢، ١٩٩٦، ٢٠٠٠ و٢٠٠٤.

على الرغم من مواجهته لظروف قاسية أثناء الأسر، ورغم صدور حكم بالسجن مدى الحياة أربع مرات ضده، إلّا أنه تعلم اللغة العبرية؛ ليتعرّف على طريقة تفكير الصهاينة ونظرتهم. في عام ٢٠١١، خلال عملية تبادل أكثر من ١٠٠٠ أسير فلسطيني بالجندي الصهيوني، جلعاد شاليط، الذي أُسر خلال عمليات المقاومة في عام ٢٠٠٨، أُطلق سراح يحيى أخيرًا من سجون الكيان الصهيوني.

استشهد الشهيد السنوار، الذي أُشيرَ إليه دائمًا من قبل الصهاينة بوصفه مهندس عملية «طوفان الأقصى»، في يوم ١٧ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٤ في مواجهة ضد العدو الصهيوني بشجاعة وصلابة، ليحقّق ما انتظره لسنوات طويلة؛ الشهادة. وكان يحيى قد قال في عام ٢٠٢١ ردًّا على تهديدات الصهاينة باغتياله: «أكبر هدية يمكن أن يقدّمها العدو والاحتلال لي هي أن يغتالني، وأن أقضي شهيدًا على يده».

الشهيد السيد حسن نصر الله و«الوعد الصادق»؛ من ٢٩ يناير ٢٠٠٤ إلى ٨ أكتوبر ٢٠٢٣

في ٢٩ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٤، هبطت في مطار بيروت الدولي طائرة إيرباص A٣١٠ التابعة للحكومة الألمانية، التي أقلعت من قاعدة عسكرية بالقرب من كولونيا، وكانت تحمل على متنها أسرى غير فلسطينيين تمّ إطلاق سراحهم من خلال اتفاقٍ بين «حزب الله» والكيان الصهيوني بوساطة ألمانية.

بعد استقبالهم في المطار، توجّه الأسرى المحررون إلى الضاحية الجنوبية في بيروت للمشاركة في احتفال الحرية؛ احتفالٌ شهد حضورًا شعبيًّا واسعًا مع أعلام المقاومة، إضافةً إلى صورة كبيرة من عملية أسر ثلاثة جنود صهاينة في عام ٢٠٠٠، وصورة للمناضل سمير القنطار الذي كان قد مضى على أسره في سجون النظام الصهيوني ٢٦ عامًا.

«طرح الأمين العام لـ«حزب الله»، السيد حسن نصرالله، ثلاثة خيارات لتحرير سمير وبقية أسرى المقاومة، وكان آخرها «خيار المقاومة». وشرح شهيد المقاومة ذلك بالإشارة إلى الصورة خلفه، حيث قال: «الخيار الثالث هو خيار المقاومة». باسم مجاهدي المقاومة الإسلامية، أعدكم أنه في المرة القادمة سيأتون بالجنود [الصهاينة] أحياء... سمير القنطار وبقية الإخوة الأسرى يستحقّون التضحية، ونحن مستعدّون للتضحية». بعد أقل من عامين ونصف، في ١٢ يوليو/تموز ٢٠٠٦، أوفى الشهيد نصر الله بوعده، وتمكّنت مجموعة من مجاهدي «حزب الله» بقيادة الشهيد عماد مغنية من أسر جنديين صهيونيين. عُرفت هذه العملية باسم «الوعد الصادق»، وأتت ثمارها في عام ٢٠٠٨، إذْ تمّ تحرير عدد من الأسرى اللبنانيين والفلسطينيين، من بينهم سمير القنطار، في إطار عملية تبادل.

بعد عملية «طوفان الأقصى»، وَعَدَ سيّد المقاومة بدعم وإسناد المقاومة الفلسطينية في مواجهة الصهاينة، لكن هذه المرة، قدّم روحه فداءً لتحقيق هذا «الوعد الصادق». وقد أكّد الشهيد السيد حسن نصر الله قبل استشهاده مرارًا وتكرارًا أن المقاومة الإسلامية في لبنان لن تتراجع عن دعم وإسناد الشعب والمقاومة في غزة تحت أي ظرف من الظروف. لقد صرّح حازمًا: «سنبقى في موقع المساندة أيًّا تكن التبعات»[٤]. كان هذا الإسناد وعدًا صادقًا من السيد الشهيد، الذي ظلّ ملتزمًا به حتى آخر يوم في حياته، أي ٢٨ سبتمبر/أيلول ٢٠٢٤. والآن، يواصل أتباع مدرسته السير على النهج نفسه.

ما جرت الإشارة إليه، يكشف أنّ الشهيدين «السيد حسن نصرالله» و«يحيى السنوار» سطّرا التاريخ ورسما مساره. من البديهي أنّهما لو لم ينتهجا مسار الشجاعة والتضحية و«الكفاح حتى الرمق الأخير»، كان مصير المنطقة سيكون مختلفًا، تمامًا كما قال الإمام الخامنئي في هذا الصّدد: «لولا بروز أمثال الشهيد السنوار الذي قاتل حتى الرّمق الأخير، لكان مصير المنطقة على نحوٍ ما، لكن مع بروزهم الآن صار على نحوٍ مختلف. ولولا بروز شخصيّات عظيمة مثل الشهيد السيّد حسن نصر الله، الذي جمع الجهاد مع العقل والشجاعة والتضحية والفداء، وجسّدها في الميدان، لكانت الحركة على نحو ما، لكنّها مع بروزهم صارت في اتجاه آخر.»

تحوّل يوم ١٧ أكتوبر/تشرين الأول إلى يوم خالد في تاريخ أكثر من سبعة عقود من نضال الفلسطينيين لتحرير أرضهم من دنس الصهاينة

تبادل الأسرى وترسيخ انتصار المقاومة

ينشر موقع KHAMENEI.IR الإعلامي تقريرًا يُلقي الضوء على اتفاق شرم الشيخ وتبادل الأسرى بين المقاومة الفلسطينية والكيان الصهيوني، بوصفه محطةً مفصلية في مسار الصراع الممتد منذ عامين في غزّة. ويستعرض التقرير أبعاد هذا الحدث من زواياه السياسية والعسكرية والإنسانية، مبيّنًا كيف تحوّل الاتفاق من مبادرةٍ ظاهرها «السلام» إلى اعترافٍ ضمنيٍّ بانتصار المقاومة الفلسطينية، وترسيخ معادلة الردع المتبادل التي فرضت توازنًا جديدًا في المنطقة.

يُعدّ التبادل الواسع للأسرى بين المقاومة الفلسطينية والكيان الصهيوني في إطار اتفاق شرم الشيخ نقطةَ تحوّلٍ في الحربِ المستمرّة منذ عامين؛ حدثٌ لم يُنهِ فقط حربَ الاستنزاف التي دامت عامين في غزّة، بل يحمل أيضًا رسائلَ سياسيةً واستراتيجيةً مهمّةً حول التوازن الجديد للقوى في المنطقة. في الظاهر، جرى تصميم اتفاق شرم الشيخ بوساطة الحكومة الأمريكية وبعض الدول العربية لإنهاء الاشتباكات، غير أنّه في الواقع يُوصَف بأنّه سلّمٌ لهروب نتنياهو من المأزق الذي أوقعه فيه عامان من الحرب العقيمة؛ حربٌ لم تُؤدِّ إلى تدمير حماس، ولا إلى استعادة الأسرى الإسرائيليين عبر العمليات العسكرية، ولا إلى تمكين تلّ أبيب من فرض سيطرتها الكاملة على قطاع غزّة.

وقد سعى دونالد ترامب من خلال مشروع «السلام» الذي قدّمه إلى تأمين ما عجزت إسرائيل عن تحقيقه في ساحة المعركة، عبر المسار الدبلوماسي. ومع ذلك، فإنّ النتيجة النهائية تعكس قبل كلّ شيء فشلَ منطق القوة العسكرية الإسرائيلية وانتصارَ المقاومة الفلسطينية.

كما تمكّنت المقاومة خلال عامين من الحصار والقصف، بصمودٍ يُضرَب به المثل، من إرغام الكيان المحتلّ على قبول وقف إطلاق النار. وأعلنت كتائب القسّام في بيانٍ لها أنّ العدوّ، رغم تفوّقه الاستخباراتي والعسكري، فشل في استعادة أسراه بالقوّة، وكما وعدت المقاومة، فإنّ الأسرى سيعودون فقط عن طريق التفاوض. وهذه الجملة في الحقيقة تُجسّد خلاصةَ واقع الميدان: الهزيمةُ الكاملة لاستراتيجية «اللجوء إلى القوّة» التي كانت، منذ تأسيس الكيان الإسرائيلي، أساسَ أمنه المزعوم. وحمل تبادلُ الأسرى الفلسطينيين رسالةً إنسانيةً واجتماعيةً عميقة. فقد أظهرت مشاهدُ استقبالِ أهالي غزّة لأبنائهم أنّ المجتمع الفلسطيني، رغم سنوات الحرب والحصار والدمار، لا يزال متماسكًا من الداخل وصلبًا في إرادته. ولم تكن هذه العودة مجرّدَ تحرّرٍ للأفراد، بل إحياءً للروح الجماعية والذاكرة التاريخية للمقاومة؛ كأنّ كلّ أسيرٍ محرَّرٍ يُجسّد استمرارَ إرادةِ الشعب الفلسطيني.

وعلى الصعيد الاستراتيجي، يُظهر هذا التبادل ترسيخَ الردع المتبادل بين المقاومة والكيان المحتلّ. فقد اعترفت إسرائيل للمرّة الأولى بأنّها عاجزةٌ عن تحقيق أيّ هدفٍ ميدانيٍّ أو إنسانيّ من دون موافقة المقاومة. هذه الحقيقة أضعفت صورةَ الجيش الإسرائيلي بشدّة في أوساط الرأي العام الداخلي والعالمي، وفي المقابل عزّزت مكانةَ المقاومة بوصفها فاعلًا حاسمًا في معادلة مستقبل فلسطين. على الرغم من أنّ اتفاق شرم الشيخ سُجّل في الظاهر باسم السلام ووقف إطلاق النار، فإنّه في الحقيقة اعترافٌ صريحٌ بانتصار المقاومة؛ انتصارُ الإرادة على السلاح، والثبات على التكنولوجيا، والإيمان على الاحتلال. والسؤال الرئيس اليوم ليس عمّا إذا كانت إسرائيل ستستأنف الحرب مرّةً أخرى، بل عمّا إذا كانت قادرةً بعد هذه الهزيمة على استعادة شرعيّتها المفقودة. وفي النهاية، كان تبادلُ الأسرى أكثرَ من صفقةٍ إنسانية، إذ شكّل نقطةَ تثبيتٍ لانتصار المقاومة على جيشٍ كان يظنّ نفسه لا يُقهَر. لقد أظهر هذا الحدثُ التاريخي أنّ أيّ قوّةٍ عسكريّة لا تستطيع الصّمود أمام إرادةِ شعبٍ يقفُ من أجل حريّته.

اتفاق شرم الشيخ في الحقيقة اعترافٌ صريحٌ بانتصار المقاومة؛ انتصارُ الإرادة على السلاح، والثبات على التكنولوجيا، والإيمان على الاحتلال